Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فألقى بأقداره إلى كينونة خارجية عنه، يسمّيها (الله) تارة و (المشيئة) تارة أخرى. والإنسان الحديث تناول خيط قدره ليمسك به، ويسقط المطلق ليحل مكانه. وكانت محنة الاختيار والمسؤولية، وكآبة القلق الضائع بين التقصير الذاتي عن تحقيق طموحاته، وبين استسلام لجبريّة عمياء)) – (الرواية ص٩٤-٩٥).

والحقيقة أننا قد ننسى، مع هذا المقطع الفلسفي المعقد أننا نقرأ قصّة، بل قد نتخيّل ذواتنا أمام فيلسوف يلقي درساً في الجبر والاختيار على تلامذة يجلسون باسترخاء على مقاعدهم، وينعمون بجوّ قاعة درس آمنة باردة ظليلة، وبأعصاب باردة لايشوبها قلق أو توتّر أو ترقّب للحظة الموت الرهيبة، أو لحظة النصر البهيجة. فالروائي، أو الضابط الذي تقمّص أفكار الكاتب، جندي مدجّج بالسلاح، وأستاذ للفلسفة بأدق أفكارها وأعقد معانيها، في الوقت ذاته، الأمر الذي يُوْحي باستبداد الكاتب بشخوصه، وضبْطه لهم ضبْطاً شديداً مُحْكماً.

ولم يبدُ الروائي في هذا المقبوسِ الطويل نسبيا، عالماً بالفلسفة فحسب، بل بدا عالما بكل شيء كما ذكرنا. والواقع أنّ ((الفنّ الروائي لايبدأ إلاّ عندما يفكر الروائي في قصته بوصفها مادة يجب إراءتها، أو إظهارها بطريقة تجعلها تروي نفسها بنفسها، حسبما يقول (بيرسي ليبوك) في كتابه ((حرفة الرواية)). (انظر عالم الرواية، لرولان بورنوف، وريال اونيليه، ترجمة نهاد التكرلي، بغداد ١٩٩١، ص٧٧).

إن الرواية التي تحوز طاقة المزج بين الشعر والسرد، يتوخّى منها أن تملك قدرة الجمع بين القصّ والمسْرَحة، فمن واجب الروائي أنْ يُمسْرح الأشياء والأحداث. وقد كتب (فلوبير) ذات مرة قائلا: ((أحد المبادئ التي أومن بها أن من واجب الكاتب ألاّ يكتب لنفسه، يجب على الفنان أن يكون في أثره كالله في الكون غير مرئي، وقديرا على كل شيء، بحيث أننا نشعر بوجوده في كل مكان، لكننا لانراه) –(عالم الرواية ص٧٧).

ويبدو أن مبدع روايتنا اختار أن يطلّ على قارئه بين فينة وأخرى، ليوقظه كلما أحسّ أنه دخل في دنيا الوهم والمتعة قائلا له: ((نحن هنا، فلا تغفلنّ أو تتوهمنّ أنك بعيد عن كثافة الواقع وثقل الحقيقة وسطوع الفكر))!

إنّ من شأن الفن الروائي الأنجع والأنجح أن ينبثّ فيه توازن محكم، ويقع فيه ربط قوي، بخيوط خفيّة ناعمة، بين أجزاء العمل، ليستوي النسج وتتوثق الحبكة وتلتحم اللحمة بالسدى وتتعانق خيوطهما، فتبدو الأحداث طبيعية لا افتعال